

الجودة كمدخل لتقييم نظام "ل.م.د" في الجزائر "المحددات التحديات"

هشام براهمي، مخبر البحوث القانونية والسياسية والشرعية، جامعة عباس لغرور- خنشلة، (الجزائر)

brahmi.hichem@univ-khenchela.dz

هادية يحيياوي، مخبر البحوث القانونية والسياسية والشرعية، جامعة عباس لغرور- خنشلة، (الجزائر)

yahiaoui.hadia@univ-khenchela.dz

تاريخ النشر: 2024/ 04/30

تاريخ القبول: 2024/ 02/09

تاريخ الاستلام: 2023/ 09/16

ملخص:

تجادل هذه الدراسة المحددات التي انتهجتها واتبعتها وزارة التعليم العالي الجزائرية في نظام الجودة كآلية من آليات الإصلاح التعليمي والبحثي. منذ تبنيها نظام ل.م.د، حيث ظهرت بوادر مقاربات جديدة تخدم مستقبل الجامعة الجزائرية من ناحية المعايير والأنماط التعليمية والتربوية وحتى العولمية كالرقمنة بما فيها المنصات الالكترونية، كذلك من ناحية الإبداع وما يتطلبه العصر مثل التحكم في الطائرات المسييرة وتقنية التعليم عن بعد التي تم تبنيها كتحدٍ ذو أهمية بالغة في تطوير جودة التعليم العالي، وعليه سنحاول في هذه الدراسة أن نجادل كيف حاولت الجامعة الجزائرية تعميق الإصلاحات الجذرية في نظام التعليم العالي، والاعتماد على الكفاءات الداخلية والخارجية ضمن هذا التغيير.

الكلمات المفتاحية: الجودة، نظام ل.م.د، الجامعة الجزائرية، المحددات والتحديات.

Abstract:

This study argues the determinants pursued by the Algerian Ministry of Higher Education in the quality system as a mechanism of educational and research reform. Since its adoption of the LMD system, signs of new approaches that serve the future of the Algerian university have emerged in terms of standards and educational and educational patterns and even globalization such as digitization, including electronic platforms, as well as in terms of creativity and what the era requires such as controlling drones and distance education technology that has been Adopting it as a challenge of great importance in developing the quality of higher education, and therefore, in this study, we will try to argue how the Algerian university tried to deepen the radical reforms in the higher education system, and rely on internal and external competencies within this change.

Keywords: quality, LM D system, Algerian university, determinants and challenges.

مقدمة

يعد التعليم العالي من الركائز الهامة والدعائم المرنة لتطور الدول، والخزان الهام في البناء المجتمعي الاقتصادي الثقافي، المادي والمعنوي، مما حتم على الدول. بما فيهم الجزائر محاكاة ومجارات التطورات، الآنية والمستقبلية، والمراهنه علي جودة وتطوير التعليم العالي بالأطر الكمية والكيفية في آن واحدة وعليه تتركز إشكالية الدراسة في الجودة ومعايير التعليم العالي في نظام ل.م.د في الجزائر؟ مع الإشارة إلى أهم التدابير المتخذة وفترة التأسيس والأخذ بعين الاعتبار المحددات والتحديات؟

كما تتمثل فرضية الدراسة التي كانت نتيجة للإشكالية المطروحة أنه يمكن للجودة أن تحدث تطورات كثيرة على منظومة التعليم العالي في الجزائر من خلال تتبع المعايير المنبثقة عن هذه الجودة من التجارب الآنية في الدول المتقدمة والمتطورة.

كما تم اعتماد مجموعة من المناهج تتمثل في المنهج الوصفي لوصف الظاهرة المحل الدراسة وصفا دقيقا ممنهجا، وكذلك المنهج التحليلي لتحليل الدراسة ضمن مؤشرات وسياقات كمية وإحصائية وعددية، كما لا يخفي علينا المنهج التاريخي الذي نستطيع من خلاله معرفة الماضي ليسهل علينا المستقبل، كما تم الاعتماد علي منهج دراسة الحالة لإسقاط الحالة الجزائرية على ظاهرة الجودة.

هيكله الدراسة:

أولا: التوجهات الحديثة للجودة في نظام ل.م.د في الجزائر.

قبل الحديث على توجهات الجودة وجب علينا التعرّيج والتعريف بهذا النظام والياته ومنطلقاته العلمية التي ساهمت في تطوير المنظومة العلمية، وإذا عدنا للتعريف فقد وردت عدة تعاريف من شأنها أن تقرّنا إلى التعرف أكثر على ظاهرة الجودة في ميدان التعليم العالي أنها ما يعرف بالقوة الموجهة وراء وخلال مجموعة من البرامج والأنظمة والمقررات الدراسية التي تستدعي دمج مجموعة من الآليات والنشاطات أيضا ضمن سياقات تعليمية الهدف منها ضمان الجودة وتفاذي وقوع الأخطاء وتطوير المنظومة التعليمية (هبال، 2020، صفحة 288).

كما تعرف لجنة ضمان جودة التعليم العالي انه عبارة عن فحص إجرائي ممنهج ذو أبعاد نظامية وتراتبية وبرامج أكاديمية مهمتها قياس المنهجية من خلال الترتيبات الهرمية المخططة لتحقيقه (هبال، 2020، الصفحات 282-283).

كما تعرف الجودة الشاملة باعتبارها من المفاهيم الرائدة التي استحوذت على الاهتمام الواسع وخاصة القرن الواحد والعشرون من قبل الاكاديميين والباحثين الذين اهتموا بشكل خاص ويريدون تطوير وتحسين الأداء الإنتاجي والخدمات في مختلف المؤسسات والمنظمات كما أنها ارتبطت (الجودة) ببعض الأسماء لعلماء وباحثين أسهموا في تطويرها ونذكر منهم: ادوارد ديمينج (Edward Deming) جوزيف جوران (Joseph Juran) كون واي (Con Way) تاجوشي (Taguchi) ايشكاوا (Ishikawa) وشيجو شنجو (Oshigeo Shing) (الحيول و فيرمش، 2020، صفحة 563).

ومن خلال المنطلقات التي بدأنا بها فان ضمان الجودة في مجال التعليم العالي تعد من المخرجات التي تريد وتقوم المؤسسة الجامعية بتقديمها لمن يريدونها وبالتالي تعود على المجتمع بصفة عامة كما أنها نسق ممنهج كما أسلفنا الذكر تقوم على التأكيد والتأكد من أن معايير "تكوين، البحث، في المؤسسة الجامعية وكذا الهياكل والتكفل بالطلبة تكون في المستوى" وتخضع للمتابعة والمراقبة والتقييد والتنفيذ، إن المؤسسة الجامعية بذلك تقوم بتحقيق مهامها وضمان تواجد الأطراف المشاركة الداخلية والخارجية، وبذلك تكون عمليات التحسين متواصلة لجميع الأنشطة والهياكل (بداري وآخرون، 2013، الصفحات 23-24)، وعليه يتضمن التعليم العالي مجموعة من المؤشرات التي تقوم على تطويره تتمثل في تقليدية وحديثة فالتقليدية

تقوم مراكز التعليم الجامعي على تقديم التدريس والبحث المتعمق في المواد الأكاديمية المتخصصة كما تزود الطلاب بالمعرفة الواسعة كما تهدف إلى تنمية قدرات الطلاب التي يحتاجها في المجالات العلمية أو المهنية مستقبلا، كما تعتمد على التنافس والتطوير، إن نظام التعليم العالي الآن يخضع إلى التحديث من الناحية التقنية والمنهجية (الزكي، 2006، صفحة 78).

1. التوجهات الكمية لمفاهيمية وتركيبية الجودة

إن نجاح نظام الجودة في التعليم العالي في أي دولة كانت، يتطلب جهود مميزة في إدارة تطبيقها ويتوقف على مجموعة من المتطلبات والعوامل والشروط والأبعاد والعناصر الأساسية التي يمكن إجمالها فيما يلي:

- الاعتماد المؤسسي يرتكز الاعتماد المؤسسي على أن المؤسسة لها المقدرة والإمكانات لتحقيق رسالتها وأهدافها وفق المرافق والمصادر وعن طريق العاملين بالمؤسسة، والخدمات الأكاديمية الطلابية، ومناهج ومستويات انجاز الطلبة، وأعضاء هيئة التدريس وغيرها من مكونات المؤسسات التعليمية، وذلك وفق علاقة متوازنة بين الطلبة والأساتذة وسوق العمل والمجتمع المحلي (يدو، 2018، صفحة 409).
- تعتمد مؤسسات التعليم في ضمان جودتها على تجهيزات تكنولوجيا اقتصادية ثقافية تكنولوجية مما يزيد في عامل الراحة لدى مستخدمي البيداغوجية من هيئة تدريس وطلبة وهو الطابع الذي بدوره يرسى الميكانزمات المادية لتطوير الجودة في الجانب الكمي "المادي" (لحسن و مزيان، 2018، صفحة 345)، وتتضمن الجودة ومتطلباتها في المجال الكمي مجموعة من العناصر نذكر منها:
- التأكد من وضع الأهداف والبدائل الموجهة نحو الأداء الجيد والتطوير.
- التغذية الرجعية من خلال فتح قنوات الاتصال والمشاورات داخل المؤسسة الواحدة ومجموعة من المؤسسات.

- التنسيق بين أنشطة المؤسسة التعليمية الموجهة بدورها نحو جودة المنتج.
- الدفع بما يعرف بالتشاركية والمشاركة بين أفراد العاملين من خلال مجارة التطور التكنولوجي.
- خلق ثقافة الاعتماد الأكاديمي بين العاملين للمؤسسة ويتحقق ذلك بطبيعة الحال من خلال نشر الوعي المجتمعي العام ومعرفة قيمة ومخرجات الجودة على العاملين والمؤسسة والمجتمع بصفة عامة.
- استطلاع واستبيان آراء العاملين فيما يخص تطبيق الجودة.
- تحديث اللوائح التنظيمية والقواعد الأساسية المنظمة لأعمال المؤسسة وذلك لقياس كفاءة الجودة.

وأخيرا دراسة الإمكانيات المالية والبشرية للمؤسسة وما تتطلبه الجودة ومعايير التكنولوجيا الراهنة والمستقبلية (عبد الرؤوف، 2014، صفحة 283).

2. التوجهات الكيفية لتركيبية الجودة

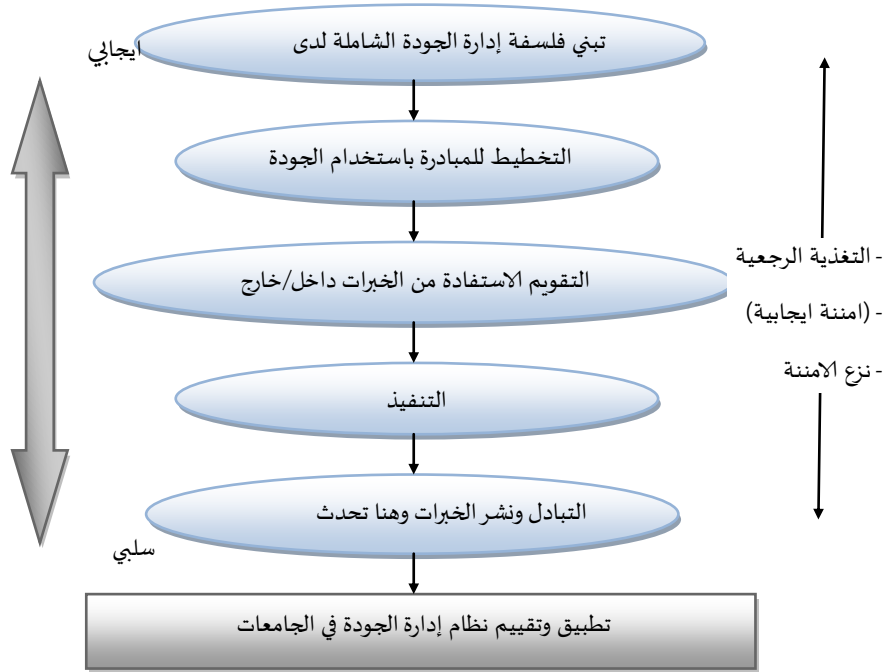
- أصبح مفهوم التكنولوجيا عند البعض يقتصر على جهاز الكمبيوتر مع العلم أن "الكمبيوتر" من مخرجات التكنولوجيا، فالتكنولوجيا بشقها العام وحيزها الواسع هي استخدام التقنيات لحل المشاكل العويصة والوصول إلى الأهداف المرجوة وهو ما يدعمه الابتكار الفردي والجماعي للوصول إلى النتيجة، كذلك استخدام الفكر في استغلال المعلومة، بالمختصر المفيد هو استعمال المعرفة العلمية بالطريقة العقلانية لخدمة الإنسان والمجتمع (سيدهم، 2018، صفحة 68)، حيث سعت الجامعة الجزائرية في انتهاج الجودة كمسار تقويي لنظام التكوين فيها لمواكبة النظام التعليمي العالمي بعد تبنيها نظام ل.م.د وذلك لتحسين نمطها التعليمي في إطار مشروع يدعوا إلى المنافسة في امتلاك المعرفة، ولا يزال نظام ل.م.د محل نقاش وذلك

للهوة بين اللوائح النظرية والإجراءات التطبيقية هذا من جهة ومن جهة أخرى عدم التوافق بين الإمكانيات البيداغوجية لتطبيق هذا النظام مما عرقلت مساعي تحقيق الجودة من خلال مخرجات هذا النظام التي لم تظهر بؤادر نجاحه بعد إلا من خلال الندوات الجهوية للجامعات وذلك طبعا من خلال الاعتماد على التقييم النظري فقط دون مراعاة الشق التطبيقي (شعباني و بن يحي، 2018، الصفحات 143-144) ، فتمويل التعليم العالي في دول الشرق الأوسط يختلف عن التمويل في دول المتوسط بما فيها شمال إفريقيا التي تعتمد في ميزانيتها للتعليم على 20% بما فيها التعليم غير الحكومي، فمن الصعب تمييز مساهمة الدولة في التعليم في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وسبب ذلك يعود إلى الجانب الكيفي وهو قلة البيانات المتوفرة ومع ذلك فالاعتقاد الشائع في جودة التعليم ومساهمته المتواضعة جدا في دول شمال إفريقيا ويعود سبب ذلك إلى أن القطاع الخاص في هذه الدول وخاصة في جانب التعليم العالي يميل إلى الانخفاض الحاد مثل تونس والجزائر بالإضافة إلى أن معظم الحكومات في هذه الدول لديها ميولات كبيرة لسياسات التعليم المجاني بشكل أساسي على جميع المستويات والأطوار بما فيها التعليم العالي، والجزائر من بين وابرز هذه الدول التي تدعم مجانية التعليم وهو من بين عثرات جودة التعليم حسب منطلقات بعض الباحثين (Bouchikhi & Zine, 2017, p. 29) ، كما أن العلاقة بين البحث والتعليم من جهة والتميع والمجانية من جهة أخرى هي مشكل أعمق والتي بدورها تضع كل الخبراء في مجال التعليم العالي قلقين من أن التركيز على قوى الجامعة كمكان للبحث في المقام الأول من شأنه أن يؤدي إلى تقسيم جذري بين الباحثين وهذا التقسيم وجد بالطبع كتعبير مؤسساتي في الجامعة الجزائرية حيث لم يكن هناك أي نص خاص بالبحوث ولا البيداغوجية بشكل خاص ومن ثمة فقد طغى البحث على التعليم "بيداغوجيا" وذلك في التحديد الأكاديمي وهو ما كان ولا يزال يشوه استراتيجيات التعويض في التعليم العالي، أما التوجه الأخر وهو الأكثر أهمية في السياق الحالي ويعد خطوة هامة ومهمة في الانتقال من التعليم في الجامعة والبحث إلى إدخال دورات الدراسات العليا ومنه توفير مستوى أعلى للأجيال الجديدة من طلبة وباحثين (Bourouina, 2020, p. 697).

ثانيا: استراتيجيات احتواء نظام ل.م.د في الجامعة الجزائرية

في هذا المجال أو المرحلة تعمل المؤسسات الجامعية على دعوة المؤسسات الرائدة والمجتمع المدني والفواعل الوطنية وما فوق الوطنية لإشراكها وتبادل الخبرات في مجال تطوير وتحديث وكذلك تطبيق إدارة الجودة الشاملة، وذلك من خلال العرض الشامل لتجارها والاطلاع على ما توصلت إليه في ذات السياق، وهو ما يخول لها تبادل الخبرات ومن ثمة تعزيز التعاون في هذا الخصوص وهو بدوره ما يجعل من الجامعة تحاول بناء تعاونها مع جامعات الدول المتقدمة كونها رائدة متفوقة في مجال الجودة كما سيتم التوضيح في الشكل الأتي (السيد و حداد، 2012، صفحة 08) :

الشكل 1: يوضح منهج وطريقة تطبيق نظام إدارة الجودة الشاملة في الجامعة.



المصدر: (السيد و حداد، 2012، صفحة 08)

إن عملية تبني الجامعة أو المؤسسة لأفكار الجودة الشاملة ومحاوِر وآليات تطبيقها كما وضحنا في الشكل ليس بالأمر الهين أو السهل إذ أن ذلك يتطلب المرور بالعديد من المراحل التي تم الإشارة إليها في الشكل بمختصرات واضحة وهنا لا بد من الإشارة أن التوجه نحو تطبيق إدارة الجودة الشاملة يتطلب قبل كل شيء تغيراً نمطياً في النظرة لطبيعة الإدارة وطبيعة التحسيس المستمر والمراقبة الآلية والتغيير في الموارد والمستلزمات سواء المادية أو المعنوية (السيد و حداد، 2012، صفحة 09).

1. الجامعة الجزائرية وأنماط ومعايير إدارة الجودة الشاملة:

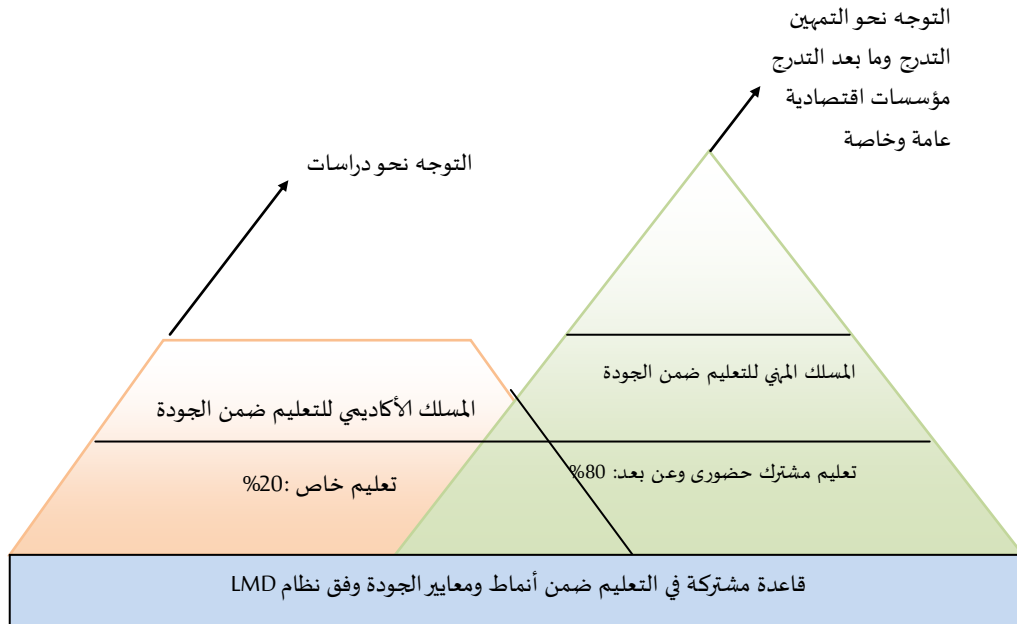
تعد تكنولوجيا التعليم من أهم الثورات الاتصالية والتقنية على جانبيها النظري والتطبيقي فهي تعمل على تصميم الموارد وتطويرها وإدارتها وتقويمها من أجل التعلم فهي بذلك الأجزاء المتعلقة بتصميم العملية التعليمية وكذا الأجهزة والأدوات التعليمية التي يعتمد عليها المدرس في تقييم العملية التواصلية (التواصل البيداغوجي) وكذلك القيام بواجبه البيداغوجي على نحو أفضل (معزوز وآخرون، 2020، صفحة 78)، إن تحديات التطور التكنولوجي وكذلك الثورة المعلوماتية التي يواجهها العالم المعاصر اليوم جعلت نظام الجودة الشاملة الحل الأمثل لمواجهة المشكلات الآنية المتمثلة في الطلب والعرض وتحديث الإنتاجية والمردودية، فقد اثبت أسلوب الجودة جدارته في الاقتراب وحلحلة هذه المشاكل لذلك أصبحت كافة بل وجميع مؤسسات العالم اليوم بما فيها المؤسسات التعليمية وكذا الجامعة الجزائرية أحوج ما تكون إلى الارتقاء بالإنتاجية وتحسين الجودة لمواجهة هذه التحديات والتغيرات المعاصرة (بن عمرو وعراي، 2016، صفحة 85)، فالتعليم يعتبر من أهم المصادر والمعايير والتوجهات التي تساهم في تعزيز وتطوير التنمية في جميع مبادئها على اعتبار أنه أساس ومفتاح الدخول إلى عصر المعرفة (مجتمع المعرفة)، ولعل التحولات الراهنة والتطورات التي تلتها تشير إلى أن التحولات التعليمية التي انتهجتها القوى الكبرى والقادة في العالم المتقدم هي من توفر النوعية الجيدة لمجاراة هذه العصرنة والتطورات وعليه فالجامعة الجزائرية ملزمة إلزاماً تاماً على محاكاة ومجاراة هذه التطورات (حمدي، 2020، صفحة 212)، كما تتنوع مجالات خدمة المعرفة والتعليم داخل المجتمعات طبقاً

لظروف وإمكانيات كل جامعة على حدى وكذلك طبقا لظروف المجتمع والبيئة المتغيرة "جائحة كوفيد 19" ولذلك نجد هناك تباينا واضحا بين ما تقدمه الجامعة الجزائرية في هذا المجال من مجموعة من النقائص المادية والمعنوية وأي كانت فإنها عبارة عن نقائص يتم تداركها مع الوقت من أجل ويهدف تحقيق التنمية الشاملة للمجتمع بجوانبه المختلفة (الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية) وذلك طبعا إذا ما تم استغلال كل القدرات الفعلية والمصادر المادية لمؤسسات التعليم العالي وذلك لتحسين الجودة أولا وتحقيق التنمية ثانيا (حنك وبواب، 2020، صفحة 178).

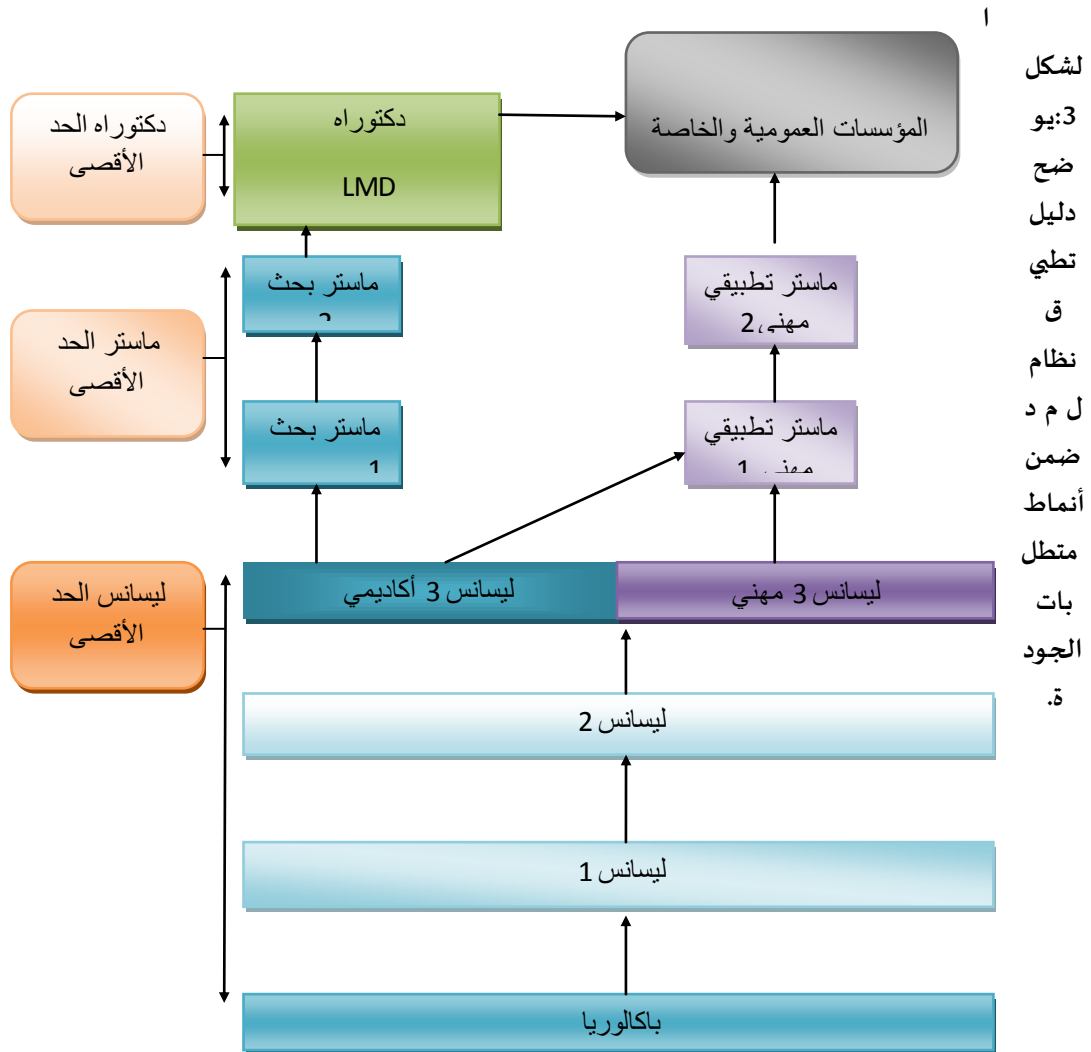
1.1 أنماط ومعايير الجودة داخل/ خارج حيز الجامعة:

تعد عملية تنفيذ سياسة التعليم (ل.م.د) عن نشاط موجه وذو أهداف مقصودة تتكامل فيه كل الوظائف والإدارات التنفيذية سواء المركزية أو الفرعية والأنظمة داخل الجامعة وخارجها فقد رأت الحكومة الجزائرية انه كي يواكب المجتمع الجزائري مختلف التغيرات والميكانيزمات والإصلاحات المحلية والعالمية فانه مطالب بإيجاد تعليم عالي قادر على تكوين الفرد الجزائري بمواصفات القرن الواحد والعشرون (التفكير والتحليل والإبداع)، ومن هذه المعايير والمنطلقات جاء تطبيق نظام LMD كخيار استراتيجي إجباري فرض نفسه وتم تبنيه لإجراء التغيرات والتحديثات اللازمة لخروج والنهوض بالجامعة الجزائرية ومواكبة الجامعات العالمية ضمن مشروع عالمي يدعو إلى المنافسة في امتلاك المعرفة، وبطبيعة الحال مشروع تحولت فيه معايير الجودة المحلية التي تضعها وزارة التعليم العالي في كل دولة ومنها الجزائر إلى معايير عالمية، فكان شبه حتمي على الجامعة الجزائرية مواكبة هذا المشروع للوصول إلى الأفضل لها وللمجتمع، وبالنظر إلى خصائص ل.م.د وما يوفره من سهولة ووضوح ومرونة قررت الحكومة الجزائرية تنفيذه وذلك منذ سنة 2004 بشكل جزئي ومتقطع وتم ذلك بقرار رسمي على شكل مراسيم تنفيذية يتم من خلالها تطبيق النظام الجديد هذا (شعباني و بن يحي، 2018، صفحة 141) وسيتم توضيح ذلك أكثر من خلال الشكلين التاليين:

الشكل 2 يوضح نمط التعليم المهني والأكاديمي ضمن أنماط الجودة.



المصدر: (بخوش، 2016، صفحة 11)



ومن خلال ما تم توضيحه في الشكلين 2 و 3 نلاحظ أن متطلبات الجودة في الجامعة الجزائرية قد برزت منذ تبني نظام ل م د ولكن بصورة بطيئة ومتذبذبة تعود إلى عدم وجود إجماع من طرف السلطة المركزية وكذلك السلطة الوصية إلى غاية 2009 حيث ظهرت أنماط ومعايير تبني الجودة كآلية تهدف إلى تحسين وتطوير مخرجات التعليم العالي والبحث العلمي وفق معايير دولية تتماشى مع الوضع الراهن ومتطلبات المجتمع الجزائري الآنية والمستقبلية.

2.1 آليات التوجيه والرقابة لنظام ل م د في الجامعة الجزائرية:

في 03 أكتوبر 2018 تم إنشاء لجنة وطنية الغرض منها إجراء تقييم وحوصلة شاملة لكل المؤسسات تحت وصاية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي من جامعات ومراكز (جامعية، بحث) ومدارس ووكالات ودواوين حيث باشرت عملها الميداني شهر نوفمبر 2018 وعلى امتداد خمسة أشهر من العمل والوقوف الميداني مس كل الجوانب التسيير المالي والبيداغوجية والبحث العلمي والإدارية، حيث انبثق عنها تقرير دون كل الاختلالات والصعوبات التي تواجهها المؤسسات تحت الوصاية مع تقديم التوجيهات والتوصيات في ذات السياق (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2019، صفحة 01)، ومن بين التوجيهات المقدمة بخصوص التعليم والتكوين لخصت في النقاط الآتية:

- ضبط خارطة التكوين لدى المؤسسات التعليمية العالي بمراعاة قدرات التأطير وإمكانات المؤسسة إضافة إلى أهداف مشروع المؤسسة وأيضا مراعاة التخصصات ذات الأولوية للمحيط والاقتصاد الوطني، والتركيز على عروض التكوين الحديثة.

- ربط عروض التكوين بالجانب المهني لتحقيق تكافؤ في عدد الطلبة بين كل الأطوار.
- تسوية التأخر في مناقشة أطروحات الدكتوراه والعمل على إيجاد آليات قانونية لذلك.
- تطوير وتحديث معابر التكوين على غرار معابر علوم الطبيعة والحياة.
- تحقيق تجانس في مسارات التكوين وأطواره، واستحداث آليات متابعة خريجي المؤسسات الجامعية.
- إعطاء أهمية قصوى لتربصات الطلبة في الوسط المهني وذلك وفق اتفاقيات مع المؤسسات الاقتصادية على المستوى الوطني وإعادة النظر في توقيت وفترات التربصات.
- استغلال الوسائط التكنولوجية الحديثة وتعزيزها في الوسط الجامعي ((وزارة التعليم العالي والبحث العالمي، 2019، الصفحة 08-09).

ثالث رهانات الجزائر في تجويد نظام ل.م.د

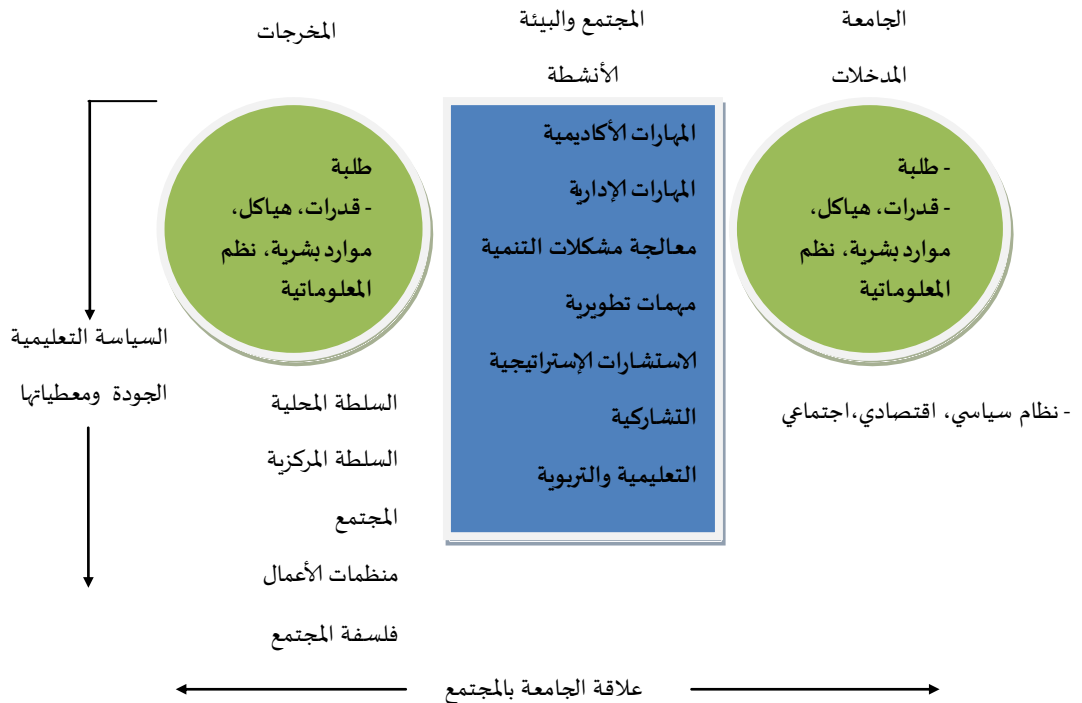
تعد الجامعة منظمة لها صفاتها وسماتها الفريدة من حيث البناء البيداغوجي والتواصل والفعاليات والهيكل وحتى الأهداف وهذا ما يجعلها مختلفة عن باقي المؤسسات حتى التعليمية منها، حيث أن أهداف التنظيم الجامعي في تطورها عبر المراحل التاريخية تبلورت باتجاه خدمة المجتمع، وبالتالي اتسعت فعاليات الجامعة وتنوعت مع تقدم الزمان وضغط العولمة وهو ما ساهم بدوره في تطوير المجتمع ونمو درجات المعرفة وعليه ازداد وتوسع الهيكل التنظيمي للجامعة تعقيدا وأتسمى بناؤه الاجتماعي والبيداغوجي بخصائص نوعية تتماشى مع مطالب العصر (الإمام، 2016، صفحة 530).

الشكل 4: يوضح علاقة الجامعة بالمجتمع.

المصدر: سائلة (الإمام، 2016، صفحة 531)

1. الجامعة الجزائرية والرهان على الإمكانيات البشرية:

تعد من أهم الإمكانيات التي ارتبطت بالتعليم الجامعي منذ نشأته في العصور الوسطى إلى يومنا هذا حيث استندت إلى مهمة الإعداد للمهام المختلفة عن طريق تقديم تعليم عالي متخصص وبذلك تمثل استثمارا في رأس المال البشري الذي لا يقل أهمية عن الاستثمار المادي كما تكلف عملية إعداد الموارد البشرية لاكتساب المهارات البيداغوجية والميدانية قدرا معيناً من الأموال لكن هذه المهارات بدورها إن استغلت حق الاستغلال تعطي عائدا بشريا يغطي تكاليف إعدادها وقد يفوق ذلك بكثير في المستقبل البعيد إذ أن إسهامه في إعداد وتهيئة الأجيال القادمة للعمل والمشاركة في التنمية الشاملة وهو بدوره يساهم في تقدم المجتمع والنهوض به في المجالات الأخرى (عطية، 2020، صفحة 263)، وإذا عدنا إلى نظام ل.م.د وبعد تطبيقه بفترة بجميع الجامعات والاختصاصات في الجزائر وعلى الرغم من النتائج الايجابية التي حققها، إلا أنه لم يحقق كل الأهداف التي جاء بها مما دفع بالسلطة الوصية في الجزائر إلى خوض إصلاحات تصحيحية تكميلية تمثلت مخرجاتها في تطبيق نظام الجودة وهو ما عرف بمسار إصلاحات التعليم العالي في الجزائر، ومما لا شك فيه أن الجزائر تعتبر حديثة التجربة في نظام الجودة حيث بدأت بؤادر الاهتمام في 13 فيفري 2008 وتم إنشاء لجنة وطنية للتقييم CNE حيث تم تبني نظام الجودة الداخلي كخيار استراتيجي على حساب ضمان الجودة الخارجي والذي تم تأجيله آنذاك إلى وقت لاحق تجلى في بروز مؤسسات متنوعة من حيث الشكل والقانون وهو ما



أعطى للتقييم الذاتي الأولوية باعتباره الركيزة الأساسية لتحسين وتطوير جودة التعليم العالي في الجزائر ومفتاح انتقال إلى ضمان الجودة الخارجي (ياسية، 2020، صفحة 555)، كما يعد التعليم العالي في الجزائر من المتغيرات الهامة في تحديد طبيعة مختلف السياسات والاستراتيجيات لاسيما وأن هذه الأخيرة تواجه اليوم بيئة تتسم بدرجة عالية من التركيب والتعقيد والتغيير لما يحدث فيها من تغيرات وتعديلات يميزها بشكل غير

مسبوق المرور السريع إلى الفضاء اللامادي "جائحة كوفيد 19، نظام التفويض، التعليم عن بعد..." الذي اتخذ من المعرفة والتكنولوجيا مرتكزا له على غرار المورد البشري ومن هذا المنطلق أصبح التعليم العالي العمود الفقري للولوج إلى مجتمع المعرفة وبناء اقتصاد قوي معاملة الأساسية الاستثمار في البحث العلمي بشكل يضمن الارتقاء بالعنصر والمورد البشري وهي الجهود الحثيثة التي لازالت وما زالت الدولة الجزائرية تنمي إلى رفع كفاءتها من اجل توظيفها ووضعها في مكانتها لمواجهة التحديات العالمية الحالية والآنية والمستقبلية للعوامة (يدو، 2018، صفحة 414).

2. الرهان على الإمكانيات المادية:

لقد أدركت السلطات المركزية في الجزائر بما فيها السلطة الوصية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ضرورة تطبيق ضمان الجودة في التعليم لكن كان بنوع من التأخر ولكن سرعان ما تجسدت الإرادة السياسية في القيام بإصلاح يهدف إلى ترقية منظومة التعليم العالي وكما ذكرنا سابقا تم تبني نظام ل م د سنة 2004 إضافة إلى وضع قوانين جديدة سنة 2008 والذي لم نتطرق له بصفة مباشرة وتفصيلية في تطبيق الجودة لكنه كرس إمكانية فتح مؤسسات خاصة للتعليم العالي وضرورة مراقبتها وتقييمها وذلك من خلال المجلس الوطني للتقييم ففي ضوء هذه الاستجابة للرهانات الاجتماعية والاقتصادية محليا وكذلك دوليا فقد تم الاستجداد بخبراء دوليين فضلا عن أكاديميين جامعيين في الجزائر، إلا أن الجامعة الجزائرية رغم تشبعها بالكفاءات الجزائرية إلا أنها ما زالت تحتاج للأدوات المهنية (هبال، 2020، صفحة 286)، وبذلك فقد تم إنشاء مجموعة من الهيئات والتي مهمتها ضبط وتوجيه وتمويل ومراقبة عمليات الجودة ضمن نطاقات التطوير داخل حيز نظام ل.م.د تمثلت في هيئات ذات شحن مادية موردة لقطاع التعليم العالي والبحث العلمي حريصة علي تطبيق وتطويره كما قلنا الجودة تمثلت في:

- وحدة مكلفة بالقياس والتقييم والمتابعة.
- وحدة مكلفة بالتدريب والتوعية .
- وحدة مكلفة بالاعتماد وإعادة الاعتماد (هبال، 2020، الصفحات 292-293).
- التواصل الفعال بأنواعه المختلفة وذلك من خلال تحديث وجلب التكنولوجيا للوسط الجامعي.
- استخدام تكنولوجيا المعلومات بما يخدم تطوير الممارسة الأكاديمية والمهنية.
- تكريس وتكثيف التعليم الذاتي والمستمر.
- العمل ضمن سياقات إستراتيجية من اجل إدارة الوقت.
- التقييم الذاتي وتحديد احتياجاته التعليمية والشخصية (الشيخ و بوعمامة، صفحة 368)

خاتمة:

وفي الأخير استخلصنا النتائج التالية من خلال مسار ضمان الجودة كآلية لإصلاح نظام ل م د في الجامعة الجزائرية :

- إن إصلاح نظام ل م د في الجزائر رهين القرار السياسي في البلاد حيث لا يخضع لاعتبارات أكاديمية بحتة.
- إن الآليات والخبرات المنتهجة في إصلاح قطاع التعليم العالي لا تراعي المحيط السوسيو اقتصادي للبلاد لكونها مستوردة ولا تعتمد على الخبرات والكفاءات المحلية.
- شكلية التقارير الصادرة عن الندوات الجهوية والوطنية ولجان التقييم وخلايا ضمان الجودة وبقاء ملفاتها حبيسة الأدراج أو مجرد أرقام لتقديمها أمام الرأي العام الوطني.
- محدودية الميزانية الموجهة للقطاع التي لا تعطي الدعم الكافي لأهمية التعليم العالي وانعكاساته على الجانب الاجتماعي باعتباره قطاع نخبوي والجانب الاقتصادي باعتباره منتج لرأس المال البشري.

- إعادة هيكلة الجامعة الجزائرية واستحداث خلايا ضمان الجودة كهيئة مشاركة في تسيير مؤسسات التعليم العالي.

وبالرغم من النقائص والعيوب التي كشفتها جائحة كوفيد 2019 إلا أنها حتمت تكريس آليات جديدة في قطاع التعليم العالي باستخدام الوسائط التكنولوجية والرقمية المتاحة رغم قلتها وحاولت إفراز منظومة رقمية ستكون القاعدة الأساسية لانطلاق أية إصلاحات.

الإحالات والمراجع:

1. أحمد عبد الفتاح الزكي، التجربة اليابانية للتعليم دروس مستفادة، (الإسكندرية: دار الوفاء للنشر، 2006).
2. الداوي الشيخ وخامرة بوعمامة، "نحو بناء معايير أكاديمية لتحسين مخرجات التعليم العالي في الجزائر"، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، م.02، (2016)
3. الصديق بخوش، جودة التعليم العالي ومعايير الاعتماد الأكاديمي "تجربة الجزائر للتعليم العالي وفق تطبيق نظام ل م د"، مداخلة مقدمة في المؤتمر الدولي التاسع: الاعتماد الأكاديمي ومعايير اعتماد الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي، اسنطبول، تركيا.
4. آمنة الحبول ومليكة فيرمش، "متطلبات ومعوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة"، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، م. 05، (2020)
5. حياة السيد وبخته حداد، "نحو تطبيق إدارة الجودة الشاملة في قطاع التعليم العالي"، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، م. 26، (2020).
6. خالدة هناء سيدهم، " دور أخصائي المعلومات في إطار آلية التحول الرقمي دراسة حالة للمكتبة الجامعية المركزية جامعة باتنة 1"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، م. 07، (2018)
7. سالمة الإمام، "السياسة التعليمية والعلاقة بين الجامعة الجزائرية والسلطة (مقاربة في التحليل النظمي)"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، م.04، (2016)
8. سليمة ياسية، "تطبيق نظام ل م د كأساس لتحقيق الجودة في التعليم العالي"، مجلة البحوث في الحقوق و العلوم السياسية، م.03، (2020)
9. صدار لحسن ومحمد مزيان، "مدى توفر معايير جودة التعليم العالي من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية دراسة ميدانية بكلية اللغات والآداب بجامعة معسكر"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، م. 09، (2018)
10. طارق عبد الرؤوف، الجودة الشاملة والاعتماد الأكاديمي في التعليم "اتجاهات معاصرة"، (القاهرة: المجموعة العربية للطباعة والنشر، 2014)
11. عبد العالي هبال، "جهود الجزائر في مجال التعليم العالي"، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، م. 09، (2020)
12. قتيحة حنك ورضوان بواب، "الجامعة والوظيفة الخدمية للمجتمع (الوظيفة الثالثة)"، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، م. 11، (2020)
13. كمال بداري وآخرون، (2013)، "ضمان الجودة في قطاع التعليم العالي إعداد وإنجاح التقييم الذاتي"، (بن عكنون: ديوان المطبوعات الجامعية، 2020)
14. لطفي شعباني وحמידة بن يحي، "واقع تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي (الجامعة الجزائرية أنموذجا)"، مجلة اقتصاد المال والأعمال، م.03، (2018)

15. محمد احمد عطية. (2020). تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي مع عرض تجارب تطبيق إدارة الجودة الشاملة في بعض الجامعات المختلفة، (المجلد 3). مجلة أفاق للأبحاث السياسية والقانونية.
16. محمد بن عمر ومحفوظ عرابي، "جودة مخرجات التعليم العالي من منظور مدخل إدارة الجودة الشاملة"، مجلة دراسات اقتصادية، م.04، (2016)
17. محمد شحاتة حمدي، أدوار الجامعات في مجتمع المعرفة، تحرير: جامعة سوهاج، (مصر: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، (2020).
18. محمد يدو، "متطلبات ضمان جودة التعليم العالي في الجزائر بين الواقع والاستشراف"، مجلة معارف، م. 13، (2018)
19. هشام معزوز وآخرون، واقع التعليم الجامعي عن بعد عبر الانترنت في ظل جائحة كورونا "دراسة ميدانية على عينة من الطلبة بالجامعات الجزائرية"، مجلة مدارات سياسية، م. 04
20. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، نتائج أعمال اللجنة المكلفة بدراسة برامج وحصائل عمل المؤسسات تحت الوصاية ومتابعتها بعنوان 2018، الجزائر العاصمة، 2019
21. Bouchikhi Fatima & Baraka Zine, *Higher Education In Algeria: Achievements And Challenges - 1963 TO 2017*, Revue Algérienne Des Finances Publiques, Vol.07, (2017)
22. El-hadj Bourouina, *What Outlooks Does The Algerian University Seek To Realize Under The Impact Of Globalization ?*, Revue Djoussour El-maaréfa, Vol.06, (2020)